

تفسير السعدي

2 ! (12 - 11) | @ 43 @ 2 ! أي : إذا نهى هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض وهو العمل بالكفر والمعاصي ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين ! 2 ! 2 فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض وإظهارهم أنه ليس بفساد بل هو إصلاح قلبا للحقائق وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة وأرجى لرجوعه | ولما كان في قولهم : ! 2 2 ! حصر للإصلاح في جانبهم وفي ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح قلبا عليهم دعواهم بقوله ! 2 ! 2 فإنه لا أعظم فسادا ممن كفر بآيات الله وصد عن سبيل الله وخادع الله وأولياءه ووالى المحاربين الله ورسوله وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح فهل بعد هذا الفساد فساد ؟ ! ! ولكن لا يعلمون علما ينفعهم وإن كانوا قد علموا بذلك علما تقوم به عليهم حجة الله وإنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفسادا لأنه يتضمن فساد ما علي وجه الأرض من الحبوب والثمار والأشجار والنبات بما يحصل فيها من الآفات بسبب المعاصي ولأن الإصلاح في الأرض أن تعمر بطاعة الله والإيمان به لهذا خلق الله الخلق وأسكنهم في الأرض وأدر لهم الأرزاق ليستعينوا بها علي طاعته [وعبادته] فإذا عمل فيها بضده كان سعيها بالفساد فيها وإخراها لها عما خلقت له . | (13) ! 2 2 ! أي : إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس أي : كإيمان الصحابة رضي الله عنهم وهو الإيمان بالقلب واللسان قالوا بزعمهم الباطل : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ يعنون - قبحهم الله - الصحابة رضي الله عنهم بزعمهم أن سفهم أوجب لهم الإيمان وترك الأوطان ومعاداة الكفار والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك فنسبوههم إلي السفه ؛ وفي ضمنه أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى | فرد الله ذلك عليهم وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة لأن حقيقة السفه : جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقه عليهم كما أن العقل والحج معرفة الإنسان بمصالح نفسه والسعي فيما ينفعه وفي [دفع ما يضره وهذه الصفة منطبقة على [الصحابة و المؤمنين وصادقه عليهم فالعبرة بالأوصاف والبرهان لا بالدعاوى المجردة والأقوال الفارغة | ثم قال تعالى : (14 - 15) ! 2 2 ! هذا من قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم [وذلك] أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم فإذا خلوا إلى شياطينهم - أي : رؤسائهم وكبرائهم في الشر - قالوا : إنا معكم في الحقيقة وإنما نحن مستهزؤون بالمؤمنين بإظهارنا لهم أننا على طريقتهم فهذه حالهم الباطنة والظاهرة ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله | قال تعالى : ! 2 2 ! وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده فمن استهزأ بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء

والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يسقط الإيمان المؤمنين عليهم ومن استهزأه بهم يوم القيامة أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا فإذا مشى المؤمنون بنورهم طغى نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين فما أعظم اليأس بعد الطمع ! 2

2 ! الآية | قوله : ! 2 2 ! أي : يزيدهم ! 2 2 ! أي : فجورهم وكفرهم ! 2 ! أي : حائرون مترددون وهذا من استهزأه تعالى بهم | ثم قال تعالى كاشفا عن حقيقة أحوالهم : (2 ! 16 2 ! أولئك أي : المنافقون الموصوفون بتلك الصفات ! 2 2 ! أي : رغبوا في الضلالة رغبة المشتري في السلعة التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة وهذا من أحسن الأمثلة فإنه جعل الضلالة التي هي غاية الشر كالسلعة وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها فهذه تجارتهم فبئس التجارة وهذه صفقتهم فبئس الصفقة